الكتابة اللّسانية التّمهيدية وإشكاليّة المنهج- قراءة في كتاب مدخل إلى اللّسانيات لمحمّد يونس علي

-Introductory Linguistic Writing and the Problematic of the Curriculum - Reading in the book Introduction to Linguistics by Muhammad Yunus Ali-

أ.بسمة سيليني abasmahbasma@gmail.com

جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل.

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول: 2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

شكّلت الكتابة التمهيدية في السّاحة العربيّة إشكاليّة هامّة متمثلة في المنهج، نظرا لتعدد مناهل أخذ المؤلّفين للّسانيات والتّلقي من الثّقافة الغربيّة، وبذلك يقدّم كتاب مدخل إلى اللّسانيات لمحمد يونس علي موضوعات أساسيّة في الدّراسات اللّسانية الحديثة لتبسيط المفاهيم اللّسانية للقارئ اللّساني المبتدئ لغرض تعليمي ولاكتشاف معالم هذا الحقل، لكن على الرّغم من هذا لا تخلو أي كتابة لسانية من نقائص وإشكالات، لذلك نروم من خلال هذه المداخلة إلى بحث أوجه النّقائص التي غفل عنها الكاتب مع مناقشة إشكالية المنهج في الكتابة اللّسانية في هذا المؤلّف.

الكلمات المفتاحية: الكتابة اللسانيّة، المنهج، القارئ، المعرفة اللسانيّة.

Abstract:

The introductory writing in the Arab arena constituted an important problem represented by the curriculum, due to the multiplicity of approaches for authors taking linguistics and receiving from Western culture, thus introducing an introduction to linguistics by Muhammad Yunus Ali introduces basic topics in modern linguistic studies to simplify the linguistic concepts of the novice linguistic reader for an educational purpose and to discover the features of this field However, despite this, any linguistic writing is not devoid of shortcomings and problems, so we aim through this intervention to discuss the shortcomings that the author overlooked, while discussing the problematic of the methodology in linguistic writing in this author.

Keywords:. linguistic writing, curriculum, reader, linguistic knowledge.

1. مقدمة:

كانت الدّراسات اللّسانية السّائدة في القرن التّاسع عشر أهم منعطف من المنعطفات التي أسهمت في ظهور اللّسانيات كعلم له أسسه ومصطلحاته ومنهجه الخاص، على أنّ الدّراسات التي كانت قبل القرن العشرين، دراسات تاريخية تتّخذ من المنحى التعاقبي منحا منهجيّا في الدراسات اللّغوية، لكن هذا لم يمنعهم من التّنبؤ بفاعلية المنهج الوصفي في دراسة اللّغة، دراسة علمية وموضوعية، إلى أن جاء فاردينا ند دوسوسير فغيّر منحى الدّراسات اللّسانية تغييرا جذريا بجعل الدّراسة اللّغوية تقوم على محك المنهج التّجريبي كغيره من العلوم التي تخضع للأسس العلمية للتجربة وهو "دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"[1]، أي دراسة اللّغة في **ذاتها** دون أيّ تأثير بعنصر آخر خارج عن اللّغة وبجعلها موضوعا للدّراسة، و**لذاتها** دون حاجة منها لبحث نتائج تتعلق بمجال آخر وبذلك هو إعلان بضرورة قيام فجر الدّراسات اللّغويّة وفق المنهج الوصفي.

ولذلك همّ الباحثون العرب من الدول والجامعات العربية ببعثات طلابية إلى جامعات أوروبية من بينها فرنسا وبريطانيا ليأخذوا علم اللّسانيّات، ولما عادو من بعثاتهم أخذو من الكتابة اللّسانيّة مهمّة على عاتقهم لتقديم علم اللسانيات في أوج ظهوره بينويّا للقارئ العربي، وكان تمام حسان وابراهيم السّامرائي وأنيس فريحة وغيرهم ممّن اشتغلوا على تقديم النّظريّة اللّسانيّة في بداية ظهورها.

ونتج عن هذا التراكم المعرفي ظهور ما يسمّى بالكتابة اللسانيّة التمهيديّة، الهدف منها هو تقديم اللّسانيات الغربيّة بشكل مبسّط للقارء العربي، والقارئ العربي هو باحث لغوي أيضا يريد الخوض في منابع هذا العلم الجديد القديم، وبالتالي هل نجح هؤلاء في تقديم المعرفة اللّسانية للقارئ العربي المبتدئ؟.

ولحل إشكاليّة البحث، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، مدعّما بآليات التّحليل، وفق المنهجية الآتية:

01-مقدمة.

02-تعريف الكتابة اللسانيّة التمهيديّة.

03- ملامح مكوّنات الكتابة اللسانية التمهيدية.

04-مضمون الكتاب.

05-تحليل فصول ومباحث الكتاب.

06-تحليل فصول ومباحث الكتاب.

07-خاتمة.

2- تعريف الكتابة اللسانيّة التمهيديّة:

لا شكّ أن المتأمّل في الكتابة اللّسانيّة التمهيديّة، يتأكّد أنّ الغرض الذي يصبو إليه هو تبسيط المعرفة اللسانية للقارئ العربي المبتدئ، وقد عرّفها حافظ اسماعيل علوي على أنّها: "طريقة في التّأليف لا يمكن لأيّ علم أن يذيع وينتشر بدونها، لذلك من الطّبيعي أن يشكّل هذا النّوع من التّأليف أحد الاهتمامات الأساسيّة لنشر العلوم وتقريبها إلى القرّاء"[2]. فلكل علم ظهور يبتدئ بالكتابة التّمهيدية له، الغرض منه توصيل مظاهره وقواعده ومبادئه، مع تبيينه للغاية التّعليميّة لها، إذ "تشكل الغاية التّعليميّة الهدف الذي تروم تحقيقه اللّسانيّات التّمهيديّة، وهذا يستوجب أن يكون كل مؤلّف من المؤلّفات اللّسانية التّمهيدية بنية خطابية متكاملة علميا ومنهجيّا، بدءا بعنوان الكتاب، مرورا بمقدمته وعناوين أقسامه وأبوابه وفصوله، وصولا إلى خاتمته"[3].

2- ملاح مكوّنات الكتابة اللّسانية التّمهيدية:

3-1-العنوان:

العنوان مكوّن نصّي لا يقل أهمّية عن المكوّنات النّصيّة الأخرى، إنّه سلطة النّص وواجهته الإعلاميّة، وهذه السّلطة تمارس على المتلقّي "إكراها أدبيّا، كما أنّه الجزء الدّال من النّص"[4]، وهذا يدلّ أنّ العنوان هو الجزء المفتاح الذي يروم إلى فهم محتويات الكتاب"، وهو مرآة النّسيج النّصي، وهو الدّافع للقراءة، وهو الشّرك الذي ينصب

لاقتناص الملتقي، ومن ثمّ فإنّ الأهميّة التي يحظى بها العنوان نابعة من اعتباره مفتاحا في التّعامل مع النّص في بعديه الدّلالي والرّمزي"[5]، وعليه فالعنوان يمثّل البنية الرمزيّة الأولى التي تكشف عن قضايا ومواضع الكتاب وأغواره.

ويتشكّل موضوع الكتابة اللّسانية التّمهيدية مما تقدّمه اللّسانيات التّبسيطيّة من نظريّات ومذاهب ومدارس لسانيّة في دراسة اللّغة الانسانيّة دراسة علميّة، من أجل تيسير المعرفة اللّسانية للقارئ العربي، "وتعتمد هذه الكتابة المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتبيان والشّرح وما يتطلّبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرّسوم البيانيّة (...) ويتّضح ممّا سبق أن موضوع اللّسانيات التّمهيدية هو النّظريات اللّسانية: مبادؤها، مناهجها، واتجاهاتها وأعلامها. أمّا غايتها فهي تبسيط المعرفة اللّسانية للقارئ العربي".[6] وفيما يلي عناوين مؤلّفات اللّسانيات التّمهيدية[7]:

العنوان	المؤلف
- علم اللغة	- علي عبد الواحد وافي
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي	- محمود السعران
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	- نايف خرما
- علم اللغة العام	- توفيق محمد شاهين
- في علم اللغة العام	- عبد الصبور شاهين
- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام	- ميشال زكريا
- البنيوية في اللسانيات	- محمد الحناش
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه	- رمضان عبد التواب
- مدخل في اللسانيات	- صالح الكشو
- مدخل إلى علم اللغة	- محمد فهمي حجازي
- علم الدلالة	- أحمد مختار عمر
- توطئة لدراسة علم اللغة	- التهامي الراجي
- دروس في السيميائيات	- مبارك حنون
- مدخل للسانيات سوسير	- مبارك حنون
- مدخل للصواتة التوليدية	- إدريس السغروشني
- علم الأصوات العام	- بسام بركة
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري	- أحمد المتوكل
- مقدمة في علوم اللغة	- البدراوي زهران
- اللسانيات العامة و اللسانيات العربية	- عبد العزيز حليلي
- مدارس علم اللغات	- المعتمد ابن رشد ومحمد خريص
- مدخل إلى السيميائيات السردية	- سعيد بنكراد
- محاضرات في علم اللغة الحديث	- أحمد مختار عمر
- مبادئ علم اللسانيات الحديث	- سامي عياد حنا و شرف الدين
- مبادئ اللسانيات	

- السيميائيات السردية : مدخل نظري	الراجحي - محمد قدور

-2- المتلقي والوظيفة التواصليّة: يحمل النص اللساني التمهيدي، وظيفة تنبيهية للمتلقي وخلق جسر تواصل بينهما، وهي وظيفة تؤدّيها عناوين الكتاب اللّسانية جملة، وعناوين فصول ومباحث مؤلّفاتها.

3-3- خطاب المقدّمات:

المقدّمة هي الخطاب الأوّلي الذي يشد نظر الملتقي للقراءة والتّمهيد، وتمثّل عقدا ووعدا بين المؤلّف والقارئ، هذا الوعد يتجسّد فعليا سواء سلبا وإيجابا في مدى تمكّن المؤلّف من الوفاء بما يصبو إليه من خلال المقدّمة ومتن الكتابة اللّسانية التّمهيدية.

هذا ويمثل كتاب **مدخل إلى علم اللغة لمحمد فهمي حجازي** في مقدمته حيث يقول: "يطيب لي أن أقدم للقارئ المثقف وللباحثين في علوم اللغة هذا الكتاب في طبعته الجديدة الموسعة، يعرّف الكتاب بطبيعة اللغة ووظيفتها المجتمعية، ويتناول بإيجاز مناهج البحث اللغوي. ويقدم تعريفا بأهم قضايا البحث الصوتي في العربية، بالإفادة من مناهج حديثة وربط المصطلحات الحديثة بالأصول التراثية"[8] كما جاء في كتاب رمضان عبد التواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: "وهذا الكتاب مدخل إلى كل هذه القضايا اللغوية، توخيت فيه الإحاطة والإيجاز"،[9] وقال أحمد محمد قدور من خلال مقدمة كتابه **"مبادئ اللسانيات"**: "والكتاب الذي بين يدي القارئ الآن محاولة لتقديم الإطار ووضعه ضمن الدرس اللغوي العربي غير منبت ولا مستنكر، وقد حاولت جاهدا أن يكون للمعطيات العربية مكان ضمن المقولات الرئيسية التي أبرزتها اللسانيات العامة"[10]. إذا هذا ما تم ذكره في خطاب مقدمات الكتب اللسانية التمهيدية من محاولات هو دفع القارئ العربي لقراءة المحتوى اللساني التبسيطي، والتعريف بعلم اللسانيات.

3-4- تبسيط المعرفة اللسانية: إن ما يميّز كتابات اللّسانيات التّمهيدية هو ما تعكسه عناوين

المؤلّفات، إذ يمثل العنوان الرّمز أو الشّفرة الأوّلية لقراءة الكتاب، وغالبا ما تحتوي كتابات اللّسانيات التّمهيدية على كلمات مفاتيح من قبيل: **مدخل إلى، مقدمة في، توطئة، أضواء، مدارس.**

4-4 -كتاب اللسانيات التمهيدية: يعد كتاب "مدخل إلى اللسانيات" لمحمد يونس علي من الكتب التي تنتمي إلى مصاف الكتابة اللسانية التمهيدية، هذا واضح من خلال عنوان الكتاب الذي أورد فيه مؤلفه لفظة مدخل، "والمدخل عادة ما يكون أمرا متفقا عليه في صورة تكاد تكون مبدئية لا تتحمل الجدل من وجهة نظر أصحابه، وهو بمعنى إجرائي عبارة عن وصف لطبيعة الموضوع الدراسي الذي سيعلم (اللغة)[11].

ويقول **محمد محمد يونس علي** في خطاب مقدمته: "وقد صمم ليكون منهجا ملائما لطلاب اللسانيات في الدراسات الجامعية، وما بعدها ويرمي إلى تقديم المفاهيم اللّسانية الأساسية التي يحتاج إليها المبتدئون في دراسة اللسانيات، وذو الثقافة العامة، والمهتمون بهذا الحقل"[12].

كما يورد من خلال خطاب مقدّمته حول السّبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب هو: النقص الظاهر في المكتبة العربية، بحيث تفتقر الجامعات العربية إلى مؤلفات تبسيطية للنظرية اللسانية، وإلى كتاب منهجي يحتوي على مادة لسانية حديثة نسبيا تعتمد على مراجع كتبت في زمن قريب. ولعل ما يدعو إلى الأسف الشّديد حسبه، أن نجد المقرّرات الجامعية في تعليمية اللّسانيات ما زالت تعتمد على بعض الكتب العربية التي كتبها أصحابها في النّصف الأوّل من القرن العشرين، على الرّغم أنّنا نعيش في القرن الواحد والعشرين[13]، وهي إشارة من **محمد يونس علي** إلى نقده اللّاذع لهؤلاء، ذلك أنّهم يهملون جانبا مهمّا من الدّراسات اللّسانية الحديثة والمعاصرة التي أفاد بها المبحث اللّساني السّاحة التّعليمية اللّسانية، وتطوير آفاق البحث اللّساني وفق مناهج معاصرة

الغاية منها هو تطوير البحث اللّغوي المعاصر وفق مستجدات العلوم التّجريبية الحديثة وغيرها من التّطورات والمذاهب التي أفادت المبحث اللّساني.

وفي إشارة من **محمد محمّد يونس علي** بضرورة عدم إغفال جهود اللّسانيين العرب الذين تلقوا المبحث اللساني الغربي من الجامعات الفرنسية والبريطانية وغيرها، ألّا نغفل عن جهودهم أو بالأحرى نلتمس منها مبدأ التّطوير والتّحليل والتّدبير بخصوص القضايا اللّسانية التي تلقوها ومحاولة تطويعها وما يتناسب واللّغة العربية. وتبيان فضلهم المثير في تقديمهم النظرية اللّسانية للقارئ العربي.

5- مضمون الكتاب:

يتكون مضمون الكتاب من مقدمة فصول ومباحث وخاتمة.

وكانت فصول الكتاب ومباحثه كالآتي:

اللسانيات.

-فروع اللسانيات العامة واللسانيات الوصفية.

- اللسانيات التاريخية

- اللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية

-اللسانيات المضيقة واللسانيات الموسعة.

اللغة:

- تعريف اللغة.
- خصائص اللغة

الاتجاهات اللسانية:

- الأصول الأنطولوجية والابستمولوجية الموجهة لاتّجاهات المدارس اللّسانية في القرن العشرين.

- مدارس اللّسانيات.

6- تحليل فصول ومباحث الكتاب:

يفضّل محمد محمد يونس علي ترجمة مصطلح علم التداولية بعلم التخاطب ردّا على بعض اللّسانيين العرب الذي سموه بالذرائعية حينا، وبالتداولية أو النفعية حينا آخر، وهي حسبه تراجم غير موفقة، لأن هذا المصطلح (وهو إغريقي الأصل) يفسره الغربيون بأنه علم الاستعمال **(the science of use)**، الذي يتّفق تماما مع مباحث الاستعمال المقابلة لما يعرّف بالوضع عند علماء الفقه[14]. والبلاغيين من العرب القدامي، على أنّه يقول أنّ تسميته بعلم الاستعمال أفضل من غيره من التّسميات ذلك ممّا ذكر، وإن كان يُفضّل الاصطلاح عليه بعلم التّخاطب وهي ترجمة تراعي اللّفظ لا مفهومه بالمعنى المنطقي للمصطلحين.

وفرّق محمّد محمّد يونس علي بين فروع اللّسانيات، حيث فرّق بين اللّسانيات العامّة (**general linguistic**) واللّسانيات الوصفية **(descriptive linguistic)**، فيعنى الأول بدراسة اللغة البشرية بوصفها ظاهرة بشرية تميز الانسان عن الحيوان، ونظاما يتميّز عن الأنظمة الأخرى[15]، في حين تمثل اللّسانيات الوصفية اهتمامها باللّغات تفصيلا، كاللّغة العربيّة، والفرنسية والانجليزية وغيرها. وهو تفريق يصل إلى التّفريق بين وصف اللّغة كظاهرة عامّة ووصفها كظاهرة خاصة.

ويشير في معرض حديثه عن اللّسانيات الوصفية إلى اهتمامات فقه اللّغة، ويميّز على أنّ الفرق بين العلمين يكمن في أنّ الأوّل يدرس اللّغة دراسة لسانيّة وصفية آنية، في حين أن الثّاني يدرس اللّغة تعاقبيا. ومن منظورنا أنّه لا سبيل لذكر علم فقه اللّغة، فهذا سيخرج الكتاب عن مجال اللّسانيات التّمهيدية. وقد أخذ مصطلح علم فقه اللّغة ذروته مع **علي عبد الواحد وافي**، الذي لم يفرّق من خلال مؤلفه حول "فقه اللّغة" حيث جعل المصطلحين بمنزلة واحدة، يقول: "فقد عرضنا في كتابنا "علم اللغة" لدراسة النّواميس العامّة التي تسير عليها اللغات الانسانية في نشأتها، وانتقالها من السلف إلى الخلف، وانشعاب الأصل الواحد منها إلى شعب وفروع، (...) فمؤلفنا هذا في منزلة الجزء الثّاني من كتابنا علم اللّغة"[16]، ويبدو أن **محمد محمد يونس علي** قد آثر على نهج **علي عبد الواحد**

وافي من خلال تضمينه لعلم فقه اللغة إلى جانب الدّراسات اللّسانية، من خلال قوله أنه يتناول فقهاء اللغة اللّغات المدروسة من الجانب الآني والتاريخي معا.

ثم يعرض لمفهوم اللّسانيات التاريخية والبحث اللّغوي في فترة المنهج التاريخي في تأثرهم بنظرية التّطور في علم الأحياء التي صاغها داروين في كتابه أصل الأنواع، ثم أشاد لفضل سوسير في التّمييز بين المنهجين المنهج التاريخي والمنهج الآني في الدراسات اللغوية.

اللسانيات المضيقة واللسانيات الموسعة: يورد **محمد محمد يونس علي** مصطلحين من قبيل اللسانيات الموسّعة واللسانيات المضيقة، بحيث حسبه أن اللغوي الذي يتطرق في دراسته للغة بمعزل عن الأبعاد النفسية، أو الإجتماعية أو العرقية، أو الأدبية فهو يبحث في اللسانيات المضيّقة، أما إذا امتزج البحث اللّساني بالأبعاد السّالفة الذّكر فالباحث يبحث في اللّسانيات الموسعة.

7-خاتمة:

حاولت من خلال هذا البحث تتبع أهم القضايا التي أتى بها **محمد محمد يونس** علي من خلال كتابه "مدخل إلى اللسانيات" وهو كتاب في اللسانيات التمهيدية، وكان من المفترض حسب المصطلحات المفاتيح للعنوان أنه بحق ينتمي إلى هذا المجال من الكتابة التمهيدية، إلا أننا وجدنا أنه وفّق في بعض الأحيان، كما نجده كذلك قد وقع في بعض الزّلات أحيانا أخرى، هذا الذي كان من المفترض هدفه الأوّلي هو تبسيط المعرفة اللّسانية للقارئ العربي، وقد توصّلنا من خلال هذا البحث إلى النقاط التالية:

1- نجاح كتاب "مدخل إلى اللسانيات لمحمد محمد يونس علي" في تقديم المعرفة اللّسانية للقارئ العربي المبتدئ، كما فشل في تقديمه لبعض القضايا، وهذا راجع للإرتباك في عدم تحديده للمنهج المتّبع في عرض القضايا اللّسانية، وإنما عرضها في جانبها العام.

2- عرضه للسانيات العامّة وفّقه اللّغة، وهذا حسب منظورنا لا مجال للمقارنة به في كتاب يصنّف في اللّسانيات التّمهيدية، هذا ما من شأنه أن يدفع القارئ للتّشويش،

لأنه قارئ مبتدئ لا يعرّف النّظرية اللّسانية بعد، والأجدر من المؤلف هو تقديمه للسانيات العامّة كعلم جديد يتّخذ من الوصفية منهجا له، ولا ضرورة بذكر فقه اللّغة كعلم يتّخذ من التّاريخانية منهجا، وهو ما يتنافى واللّسانيات الحديثة.

8- هوامش البحث:

[1]: Desaussure ferdinand:cours de linguistique générale, editeur: cherle bally, alberte secheye editions: payot -.paris -1971, p: 317.

[2]: حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته: دار الكتاب الجديدة المتحدة 2009، ط1، لبنان، ص99.

[3]: حافظ اسماعيلي علوي: المرجع نفسه: ص99.

[4]: حافظ اسماعيلي علوي: المرجع نفسه: ص100.

[5]: حافظ اسماعيلي علوي: المرجع نفسه: ص 100.

[6]: حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي: اللسانيات التمهيدية نموذجا، ص51. https://www.aljabriabed.net/n58_09hafidi.(2).htm

[7]: حافظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية وإشكالات التلقي: اللسانيات التمهيدية نموذجا، ص51. https://www.aljabriabed.net/n58_09hafidi.(2).

[8]: محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ص06.

[9]: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط3، 1998، ص04.

[10]: أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات: دار الفكر، ط03، دمشق، 2008، ص09.

[11]: محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى: أسسه، مداخله، طرق تدريسه، سلسلة دراسات في تعليم العربية لغير الناطقين بها، معهد اللغة العربية ، وحدة البحوث والمناهج، مكة المكرمة المملكة العربية السعودية، 1980، ص43.

[12]: محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ليبيا، ص05.

[13]: ينظر: محمد محمد يونس علي: المرجع نفسه: ص06.

[14]: محمد محمد يونس علي: المرجع نفسه: ص12.

[15]: محمد محمد يونس علي: المرجع نفسه: ص13.

[16]: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: ط3، 2004،ص05.